

الغدير

[198] ومن استشف الحقيقة من هذا الموقف علم أنها قضية شخصية لا تعد قصة تبوك لما كان صلى الله عليه وآله يعلمه من عدم وقوع الحرب فيها، وكانت حاجة المدينة إلى خلافة مثل أمير المؤمنين عليها مسيسة لما تداخل القوم من عظمة ملك الروم (هرقل) و تقدم جفله الجرار، وكانوا يحسبون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحشده الملتف به لا قبل لهم به، ومن هنا تخلف المتخلفون من المنافقين، فكان أقرب الحالات في المدينة بعد غيبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يرجف بها المنافقون للفت في عضد صاحب الرسالة، والتزلف إلى عامل بلاد الروم الزاحف، فكان من واجب الحالة عندئذ أن يخلف عليها أمير المؤمنين عليه السلام المهيب في أعين القوم، والعظيم في النفوس الجامعة، وقد عرفوه بالبأس الشديد، والبطش الصارم، إتياء بادرة ذلك الشر المترقب. وإلا فأمر المؤمنين عليه السلام لم يتخلف عن مشهد حضره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا تبوك (1) وعلى هذا إتفق علماء السير كما قال سبط ابن الجوزي في (التذكرة) ص 12. وفي وسع الباحث أن يستنتج ما بيناه من قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: كذبوا ولكن خلفتكم لما ورائي. فيما أخرجه ابن إسحق بإسناده عن سعد بن أبي وقاص قال: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله الجرف طعن رجال من المنافقين في إمرة علي وقالوا: إنما خلفه استئثالا فخرج علي فحمل سلاحه حتى أتى النبي صلى الله عليه وآله بالجرف فقال: يا رسول الله؟ ما خلفت عنك في غزاة قط قبل هذه قد زعم المنافقون إنك خلفتني استئثالا. فقال: كذبوا ولكن خلفتكم لما ورائي. الحديث (2) ومما صح عنه صلى الله عليه وآله حين أراد أن يغزو أنه قال: ولا بد من أن أقيم أو تقيم. فخلفه (3). إذا عرفت ذلك كله فلا يذهب عليك أن قوله صلى الله عليه وآله وسلم: لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي. ليس له مغزى إلا خصوص هذه الواقعة، وليس في لفظه عموم يستوعب

(1) الاستيعاب 3 ص 34 هامش الإصابة، شرح

التقريب 1 ص 85، الرياض النضرة 2 ص 163، الصواعق 72، الإصابة 2 ص 507، السيرة الحلبية 3 ص 148، الاسعاف 149. (2) الرياض النضرة 2 ص 162، الامتاع للمقرئ 49 ؟ ؟، عيون الأثر 2 ص 217، السيرة الحلبية 3 ص 148، شرح المواهب للزرقاني 3 ص 69، سيرة زيني دحلان 2 ص 338. (3) أخرجه الطبراني بطريق صحيح كما في مجمع الزوائد 9 ص 111.